

البداية والنهاية

فقال الملك فما الذي يرضي صاحبكم فقال قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضك ويختم ملوكك ويجبي الجزية من بلادك فقال أنا أبريمينه وأخرجه منها أرسل إليه بتراب من أرضي وأربع غلمان من أبناء الملوك وأرسل إليه دهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوم ولا يدري قدرها ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ثم اتفق الحال على أن بعث صحافاً من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم وبعث بمال جزيل لير بيمين قتيبة وقيل أنه بعث أربعمئة من أولاده وأولاد الملوك فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه وذلك لانه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين فانكسرت همته لذلك وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العساكر ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ثم قتل في آخر هذه السنة C تعالى فإنه يقال أنه ما كسرت له راية وكان من المجاهدين في سبيل الله واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره وفيها غزاه مسلمة بن عبد الملك الصائفة وغزا العباس بن الوليد الروم ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان C تعالى وجزاه خيراً وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبداً بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة وهي القمر في السماء الدنيا وعطارد في السماء الثانية والزهرة في السماء الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين وصرفوه أنهاراً تجري من الأماكن المرتفعة والمنخفضة وسلخوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن بل هي أحسنها لما فيها من التصاريف العجيبة وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي وكانت محاريبهم إلى جهته وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عياناً وراينا محاريبهم

إلى جهة القطب ورأينا الباب وهو باب حسن مبني بحجارة منقوشة وعليه كتاب بخطهم وعن
يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة